إلى السماء..!

للأستاذ محمد العلائى

لك الأمر لايدرى عبادك مابيا ... لك الأمر لا للناصحين ولا لِيا
وهذى معاذيرى وتلك صحائف ... عليها خطاياها.. وفيها اعترافيا
وفيها من الأمس الدفين وحاضرى
وفيها من الآتى وفيها ابتهاليـــا
وفيها تهاويلٌ..ومهجة شاعر ... ينام بها يأساً ويصحو أمانيا
وفيها أعاجيب يكفّر همها .. ذنوبى وإن كانت جبالا رواسيا!!
ونازعنى شوق إليك وهزّنى ... من الغيب مايهفو إليه رجائيا
وجئت من الدنيا الأثيمة هارباً ... بصفوىَ من أكدارها ونقائيا
وفى النفس ماأخشى ظلام ضبابه ... على نور إيمانى ومسرى حيائيا
وذكرى من الماضى الشهيد وعالم ... ورائىَ منه خدعة وأمانيا !
وناديت أحلامى إليك وخافقاً ... تهيّب أسباب المنى والتماديا !!
أُناديك فى ضعف . وأخجل أن ترى
جراحَ أمانيه ولون دمائيـــا

لك الأمر . أشواق ببابك والهى ... ولى أمل ألا يطول انتظاريا !
دعوتك بالسرّ المغيّب فى دمى ... وألهمنى حبى وفاض عتابيـا
ولاح نشيد جئت أشرع لحنه ... فهابتك أرضى واستحتك سمائيا
وهابتك نفس لم يدع لى شبابها
من الروح ما يهدى إليك اشتياقيا
شباب أحس الدهر ثم حملتُه ... إليك شهيداً لايحس بكائيا !!
وداريت إلا عنك سر مماته ... وموطن ذكراه ودمع رثائيا
بعدْلِكَ لاتمنح سواى مثيله ! ... ولا تَرْوِ عنى ماطواه اعتزازيا!!
وبارك شهيداً مات بالأمس ظامئاً ... وما زال مثواه أمامك صاديا !!
منحت جميل الصبر كل مُعزّىً ... سواى فلم يلمس هُداك عزائيا
زهورٌ على قبر الشهيد عبيرُها ... أهاج ضميرى واستماد الليـاليا
وأخرج أسرارى وعاد بماضى ... وكشّف مابينى وبين زمانيا

لك الأمر . مالى أرتجيك فيلتوى ... لسانى وأمضى بالتوسّل شاكيا
ذكرتك فى نفس هَداها ضلالها ... إليك وعافت وحدتى وارتيابيا
ومنيت روحى من سناك بلمحة ... أضمّد آلامى بها وجراحيا
وأرسلته فيما لديك لعلـــه ... يعود بأسباب المحبة راضيا
وأنسى تكاليف الظلام وما اختفى
وراء تَعِلّاتى وخلفَ ابتساميـــا !!
وأشرعُ ألحان السماء فلم يَعدْ ... جميلا بسمع الدهر لحن شقائيا
تعاليت لم أذكر سواك بمحنتى ... ولم أرْجُ إلا من يديك جزائيا
وفوّضتُ عن علم إليك إرادتى ... وحسبى ما أدّى إليه اختياريا
ورائىَ آثام وخلفى خطيئـــة
كفاك شعورى نحوها وكفانيا !!
تهافتُ ظمآن الجوانح ساغباً ... وأيأسنى مما سواك انتباهيا !
وأجهدَنى مالا أُطيق بيانه ... فحنتك مشبوب الوسيلة عارياً !!

لك الأمر . شاقتنى سماؤك وانتهى ... إليك بأحلام الضمير مطافيا
وأزلتُ آمالى وفيها ملامح ... تردُّ أمامى ماتركت ورائيا !
يُطالعنى منها زمان عرفتُه ... بريح لياليه ولون مهاديا !!
تُقلّب ذكراه الدفين وماضياً ... تهرّب منه فى الشعاب خياليا !!
أطلّت مآسيه ببابك فاستمعْ ... إليها حديثاً لم يسمه بيانيا
ضياؤك أغرى باليقين جوارحى ... وفجّر أعماق وأفضى بذاتيـا
وألهمنى حتى نخلت مشاعرى ... أذابتْ كيانى فى سناك معانيا !
وأفردنى حتى رأيتُ معالماً ... تلاشى زمانى عندها ومكانيا !!
وأحسست أن الدهرَ لمحة خاطرٍ
وأن امتدادَ الكون بعض امتداديا !!
وأن دويَّ الحادثات بمسمعى ... رواسب حلم زارنى فى منامياً !
وأوشكت أنسى غير أن هواجسا ... من الأرض نادتنى ومست كيانيا

لك الأمر . أسبابى ضعافٌ وخاطرى
ببابك يخشى رجعتى وانحرافيـــا
دعوتك ملءُ النفس ألا تردّه ... مغيظاً وألاّ تستعيد سؤاليا !!
ويشفع لى أنى أتيتك عاتباً ... وأن لى العُتبى وأجر انطوائيا!!
وهذا رجائى فى حماك وهبتُه ... لعدلك حتى تستجيب دعائيا !!

وحاشاك أن أرضى مع النفس مذهباً
بغير يقين منك يهـــدى شعاعيا !
كفانى أوهاماً فهب لى تميمة بها أتّقى نفسى وشرّ ذكائيا !!
وبارك فجاج الأرض إلا مواضعاً شربن دموعى أو شهدن عِثاريا
تناسيتها لولا حديث أهاجه تلفت أشواق وخوف ارتداديا
وجدّد لى همس الرحيل مكارها تولّى شجاها والجراح كما هيا
وأيامى اللاتى ذهبن وعالماً دفنت به عهدَ الصِّبَى وشبابيا
وأودعته سرا حراما ولم أزَلْ أعود فأبكيه دموعاً غواليا

لك الأمر . هذا من يديك عدالة وهذا قليل فى مقام اتصاليا
أتيتك والحق الصريح يمدُّنى إليك ولحن البشر ملء فؤاديا
وحولى من عرش الجمال ملائك ترف أزاهيراً وتسرى أغانيا
وفى النفس فجر من يقين وموكب من الخير يحدوه إليك ولائيا
وفيها رجاء فاض منك جلاله وآفاق نور يستحيها ضيائيا
وأحببت حتى أسكرتنى مودّتى وذاب يمينى رحمة وشماليا !!
وهامت بآلام الحياة وسائلى وفاضت على ماليس منى هِباتيا
وأرسلت أنسامى عبيراً وبهجة لتنفح أشواك الرُّبى والأفاعيا!!
وآمنت حتى كاد يذهب خاطرى وتصعد أنفاسا إليك حياتيا !
ولم يبق حرف منك إلا أسرّه ضميرى وأبدَته إليك سماتيا !!
وزُرْتُك ألحانا ورَجْعَ مواهب
وأشهدت سمع الدهر فَيْضَ انسيابيا

لك الأمر آفاق تراءت لخاطرى وعاودنى منها دبيب شكاتيا !
وذكّرنى بشرُ السماء منازلا أتيتك منها عابس الوجه داميا
أقلّب أوهامى يميناً ويسرة وأرفع آمالا إليك روانيا !!
ينازعنى ماض شرقت بعذبه وراودت فيه ما أشاب النواصيا
إذا طاف منه حول نفسى طائف ذكرت زمانى والسنين الخواليا
هناك وفى أرض عليها ملاعبى وأطياف آبائى ولغْوُ ديارياً
وفيها تَمِلاّنى وراح مشاربى وزلات أهوائى ودمع متابيا
وأحلامى الموتى وذات مواجعى وأطلال مأساتى ورجع بلائيا
على وطن أفنى شعورى هواجساً وألبسنى ثوب الشبيبة باليا !!
ولم يرع لى حق الحياة بأرضه ولم يرع آلامى له ووفائيا !!

بعدلك لا تمنح مشارق نوره حياتى ولا تمنح ثراه رفائيا !!!

لك الأمر . ألهانى حديث أعاده عليك ضميرى واستحاه لسانيا!!
وأسرفت فى ذكر المساء ولم أكن لأسرف لولا رجفة من صباحيا
وعذْرِىَ أن الكأس فوق مواهبى
وأن مقـــام الحب يشجى المآسيا !
وأن تباشير الصباح تنفست وفاح شذاها واستنار ضلاليا !
ولاحت على وجه السماء بشائر ولاحت أغاريدى ولاحت ظلاليا
وطاف ضيائى بالمواكب رحمة لمن ذاق أيامى وذاق عذابيا
أرد جراحاتى عليهم مسرة ونار جحيمى عزة وتساميا
وأنثر أشواكى عليها أزاهراً وألوان يأسى حكمة وأمانيا
وأمنح أرض الظامئين مواردا تفجر فيهم نشوتى وسلاميا
رجاء وإيمانا وفيض محبة وتفتح للدنيا كنوز انفراديا!!
بعدلك مالى بعد ذلك غاية من العيش إلا أن تصون انجاهيا

لك الأمر . نادت بالرحيل خواطرى
وهبت على نفسى رياح اغترابيا
وذكّرتها أن الشعاب جديدة وأن عليها من سناك هواديا !
وأن شعابَ الأمس واجهتُ غَيْبها
على غير إيمان فكانت مهاويا !!
هى الأرض تبلونى لتبلو خطيها على نور إدراكى وضوء نفاذيا !!

لك الأمر . زلات الشعور تردُّنى
إلى الظن والأيغال فيما أمانيـــا !
ضميران .. هذا ملء نفسى غناؤه وذاك يدارى ظنَّه فى غنائيا !!
لك الأمر . مالى فى وداعك باهتاً ومالى أخطو شاحب النفس نائيا
لك الأمر . ليست للجديد روائح وليس لهذا الدهر لون ولا ليا
لك الأمر . لاحت من بعيد مذاهبى
وآذن حاديها وآن ارتحاليـــا !!
ورفت عليها من سناك مآثر ورفت عليها غايتى وصلاتيا
تنسمت أمواج الرحيل وأشرقت علىّ أمانيه فبارك شراعيا !!

(الزقازيق ـ كفر الحمام)

محمد العشماوي